

## 'الشهيد النمر': الكرامة الإنسانية تمحو طاعة الحاكم الظالم



تحل الذكرى السابعة لاستشهاد الشيخ نمر باقر النمر على يد آل سعود. ومع مرور الأيام والأعوام، تتمظهر حركة الشهيد الإصلاحية أكثر فأكثر، خصوصاً وأنها حركة واعية تتخذ من الكرامة الإنسانية مبدءاً ومنهاجاً، بما تشكله الكرامة من نفيذ لسلوك آل سعود وقيمهم الإجرامية.

الكرامة ليست قيمة مطلقة في خطاب الشهيد الشيخ نمر باقر النمر، بل هي مرتبطة بمعنى محدد، هو حفظ حقوق المواطن والحرية والمساواة والعدالة. هي كرامة دستورية، إذ الدستور هو من يحفظ كرامة المواطنين، من هنا فال الحديث عن الشيخ النمر ليس حديثاً عن نضال مطلق مفتوح. أو لنقل استشهاد الشيخ النمر ليس انغماساً عدمياً في المطلق، بل هو استشهاد في حدود ما أراد أن تكون حياته شاهدة عليه.

أحال الشيخ الشهيد النمر، معاني الكرامة إلى خطاب نضالي حقوقى، وقدم نفسه تجسداً لهذا الخطاب، وجعلها أعلى مبدأ دستوري لحياته، التي جعلها هي الأخرى مطابقة تماماً لمفهوم الكرامة، فجعل جذع جسده شجرتها، وكلماته جذورها، ورأسه كلّ غصونها، لم يملك شيئاً منه ليتصرف فيه، فقد تملكته الكرامة بكلها، لم يسلبها أحد منه فقد ظلت معه حتى آخر نفس له وهو يصاعد إلى السماء، ولم يتنازل بها لأحد على الرغم من كثرة الرسائل الملحة عليه.

تقول لائحة الدعوى ضد الشيخ النمر "فقد ثبت لدينا إدانته المدعى عليه نمر بن باقر ال نمر بإعلانه عدم السمع والطاعة لولي أمر المسلمين في هذه البلاد وعدم مبادعته له ودعوه وتحريض العامة على ذلك ومطالبته". لقد كسر خطاب الشيخ الشهيد النمر فكرة الطاعة لولي الأمر، منذ بدأ خطابه عصيًّاً على المدنى السلمي، وفي مرافعته أمام جلاديه، وأنته الفرصة ليكسر حجج الطاعة وتأصيلاتها الشرعية الهشة التي تخفي تحتها تسلطاً وخطوهاً وإذلالاً لشخص الحاكم المستبد.

منطق الشهيد النمر "لا سمع ولا طاعة لمن يسلب حرتي ويسلب أمني" كما سجله المدعى، وكما سجلته مرافعته حين سُئل عن طاعة ولِي الأمر، فردَّ قائلاً إن "جوابي بعدم التزامي وعدم طاعتي لأي شيء يخالف عقيدتي".

وعقیدته تقول "وهيئات منا الذلة، يأتى إلينا ذلك ورسوله، وحجور طابت وأرحام طهرت أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام". الطاعة التي تسليك كرامتك دونها مصرعك، هكذا وضع الشهيد النمر معادلة الكرامة والطاعة، فكان مصرعه على مذبح كرامته. لقد كسر فكرة الطاعة بالكرامة، والادعاء على الشيخ النمر قائم في أساسه ومقتضاه على: طاعة ولِي الأمر، والبيعة له، وتجريم الخروج عليه. والمرافة قائمة على تفكيك أركان خطاب هذه الدعوى.

يذكر المدعي العام التابع للنظام السعودي في دعواه على الشيخ الشهيد "نقضه البيعة المنعقدة له في ذمته" فيرد الشهيد النمر "هذه الدعوة سالبة بانتفاء موضوعها؛ لأنني لم أبأى من الأصل ولم تتحقق مني بيعة حتى يقال إنني نقضت البيعة؛ وذلك لأنني شيعي، وعقيدة الشيعة في البيعة أن مآلها وحقيقة أنها بيعة ﴿سبحانه وتعالى﴾.. ولذا لا يجوز لأحد أن يطلب البيعة له أو البيعة لأحد آخر ما لم يجعل ﴿ذلك له﴾، فالبيعة جعل إلهي وليس للمخلوق نصيب في تحديد المجعلولة له". وبشموخ لم يخذه طوال مراقبته يقول الشيخ النمر، **إمعاناً** في كسر الطاعة وإعلاء الكرامة: لا أعتقد أن حاكم هذه البلادولي أمر المسلمين فيها، وأنا لم أعلن ذلك على الملاّع العام. نعم هو والـ وليسولي الأمر، وليس له الولاية عليـ، وهناك فرق بين الوالي والولي.

ويفصل ذلك بأذير كلما ته: "نعم قلت وأقول: لا نؤيد آل سعود، ولماذا نؤيدهم؟ على قتل أبناء أم على اعتقال شبابنا أم على الظلم والجور الواقع من قبلهم علينا، فنحن لم ننتخبهم ولم نختارهم حكاماً علينا، ولم يجعلهم ﴿ذلك حتى نؤيدهم﴾، وإنما حكمونا بحكم الغلبة".

النقيس السعودي الكرامة تعني الإنسان غاية في ذاته، وليس وسيلة لولي الأمر كما ثبّت ذلك الوهابية حدثياً مستثمرة تراثها السلفي. الوهابية لم تكن مذهبـاً أو دعوة مكتملة ثم تبنتها دولة بل هي تمـ تفصيلها على مقاس سلطة توسيع آل سعود، واكتملت بهم، صحيح أن البذرة الأولى كانت خارج حقل سيف محمد بن سعود، لكن النبتة والشجرة كانت تحت ظلال سيفه، وفكرة الطاعة جرى تطبيعها بسيف الفتح الذي سلطه آل سعود على القبائل لتتخضع لحكمهم وبالرسائل التي كان يوجهها محمد بن عبدالوهاب للقبائل وفقها ئها وقاصتها ويدعوهم فيها للطاعة والامتثال والإسلام، من هنا فالوهابية ديانة حرب، ضد كل من لا يتمثل معها أي ضد من لا يخضع لها ويطيعها.

في الدولة السعودية الأولى والثانية والثالثة الطاعة أولاً والكرامة مرهونة بالطاعة أو لنقل مسلوبية بالطاعة، وهذا ما كان يرمي إليه الشيخ الشهيد النمر حين قال في مراقبته "الدولة ليست أهم من كرامتي"، أي أن الدولة السعودية تجعل طاعةولي الأمر سحقاً للكرامة، وأنا لن أقبل أن تسحق كرامتي

فهي أهم من هذه الدولة التي لا تعترف بمواطنيها ولا بكرامتهم، هي دولة بلا مبدأ أخلاقي لأنها تتعامل مع الإنسان على أنه وسيلة لـ (ولي الأمر) وكرامته تحت اعتبار أوامر ولي الأمر، ليست لدى هذه الدولة فلسفة خارج الطاعة والكرامة في الفلسفة "مبدأ أخلاقي" يُقرّر أنّ الإنسان ينبغي أن يعامل على أنه غاية في ذاته لا وسيلة، وكرامته من حيث هو إنسان فوق كلّ اعتبار.

لقد جعل الخطاب الوهابي الدولة في طاعة ولي الأمر، ليس هناك شعب ولا رعية، هناك مطيعون وهناك ولي أمر مفترض الطاعة، حتى صار ولي الأمر طاغوتاً، يُطيعه الدين وليس يطبع الدين وتخدم الفتاوى أمره، ويستخدم لقب (خادم الحرمين) ستاراً يخفي تحته حقيقة أنه المخدوم لا الخادم، لقد فقد الدين وظيفته في أن يكون رادعاً لجبروته، وفقدت الدولة هيبتها في أن تكون نظاماً يخضع له الحاكم، فقد المواطنون كرامتهم لأنهم غدوا في طاعة ولي الأمر لا في طاعة الدولة.

المصدر: مرآة الجزيرة